مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: البنى النصية بين "فان دايك" وعلماء التفسير: مقاربة وصفية
اسم الكاتب: أحمد فهد شاهين
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/9306
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 17:26 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية



المجلد 20، العدد 3
جمادى الثاني 1445هـ / سبتمبر2023م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

سبتمبر 2023م مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 20 العدد 3
https//:doi.org/10.36394/jhss/20/3/3

البنى النصّية بين «فان دايك» وعلماء التفسير: مقاربة وصفية

أحمد فهد شاهين[1]

تاريخ الاستلام: 23-11-2021 تاريخ القبول: 16-05-2022

ملخص البحث:

يُعنى هذا البحث بالحديث عن إسهامات بعض علماء التفسير في باب علم المناسبة من منظور لسانيات النص، وقد توصلت من خلاله إلى نتائج أهمها أن ما قدّم في باب علم المناسبة يعد مشروعًا لسانيًا نصّيًا ضمّ في ثناياه رؤية شاملة للنص القرآني، فقد استوعب علماء التفسير أجزاءه كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة، وقد تمكّن علماء القرآن من توظيف آليات التماسك والربط النصّي في ربطهم بين الآيات والسور، في بحثهم عن وجوه التناسب في النص القرآني على مستوى البنية الصغرى والبنية الكبرى والبنية العليا، وقد شكّلت محاولات علماء المناسبة من أمثال: فخر الدين الرازي والزمخشري والزركشي والبقاعي والسيوطي... للربط بين الآيات والسور، مقاربة نصّية كشفت مدى الوعي بقضية التماسك النصّي في نصوص القرآن الكريم، فالنص في نظرهم يجب أن يكون وحدة واحدة، وقد تجلّى ذلك في طرحهم لكثير من المقولات التي تتجاوز نظرًا وتطبيقًا مستوى الجملة إلى مستوى النص، وقد عبّروا عن ذلك بعبارات منها: كالكلمة الواحدة، يأخذ بعضه بأعناق بعض، وتعلق الكلام...

الكلمات الدالة: النص والنصية، البنية العليا، البنية الصغرى، البنية الكبرى، علم المناسبة.

(1) معهد تدريب المعلمين - مؤسسة الإمارات للتعليم (أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة)
ahmad-f.shahin@ese.gov.ae

20-3.indd 61 8/30/2023 8:44:50 PM

المقدّمة

تنطلق هذه الدراسة مما ورد عند علماء اللسانيات الغربيين في تحليلاتهم النصية، وما اتصل بها من مفاهيم التحليل النصي وآلياته، وخاصة ما أسهم به العالم الهولندي Van Dijk في حديثه عن مستويات البنية النصية، فالنص في نظر دايك يتكون من بنى متعددة المستويات: بنية صغرى وبنية كبرى وبنية كلية يُبنى بعضها على بعض، فإن كانت محاور نظرية دايك في حديثه عن البنى النصية صالحة للتطبيق على البناء النصي للقرآن الكريم، فهل من الممكن أَنْ تُعَدّ التحليلاتُ الواردة عند علماء التفسير، وخاصة علماء المناسبة في معالجاتهم النصية القديمة لبناء سور القرآن الكريم، وكشف ما بينها من ترابط داخلي يحقق التماسك النصي على مستوى بنية الآية أو السورة أو القرآن الكريم كاملًا - بداية لنظرية لسانية نصّية عربية إسلامية؟

لذلك سعت دراستي هذه إلى إعادة قراءة تلك المعالجات لدى علماء التفسير في ضوء منهج وصفي تحليلي، يوضح أن ما توصل إليه علماؤنا من نتائج قد يشكل لَبِنة لنظرية نصّية عربية إسلامية في قراءتهم للنص القرآني، تثبت مدى التقارب والالتقاء بين كثير من أنظار المفسرين العرب القديمة، وبين المفاهيم اللسانية الحديثة، فالبنى النصّية للقرآن الكريم تؤكد مدى ارتباط العلامات اللغوية داخل النص وفقًا لمجموعة من الأطر المعيارية الرابطة بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية ضمن الآيات المتجاورة، أو بين السورة والسورة في القرآن الكريم كاملًا، تبعًا لمفهوم علم المناسبة لدى علماء التفسير، الذين قدموا مجموعة من الآليات والأدوات التي استطاعت أن توضح مدى وحدة النص القرآني.

ومع تعدد الدراسات التي تناولت جهود علماء التفسير في باب علم المناسبة، والربط بين الآيات في السورة الواحدة أو بين السور في القرآن الكريم، إلا أنها لم تنظر إلى تلك الممارسات كبداية لتحليل نصّي، واكتفت بتقديم رؤية للظواهر السياقية والوسائل اللغوية التي تربط بين العناصر المكونة للنص القرآني، كالضمائر والإشارات والإحالات والعطف والتقديم والتأخير والحذف والذكر... دون معالجة تلك الممارسات ومقارنتها بعناصر الربط النصّي ووسائله، على مستوى البنية الصغرى والبنية الكبرى والبنية الكلية العليا في علم اللغة النصّي الحديث، ولتوضيح ذلك جاءت الدراسة في فصلين سبقتهما مقدمة وتوطئة وتبعتهما خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع على النحو الآتي:

1. معيارية ربط البنى النصية لدى علماء المناسبة.
2. تناسق البنى النصية لدى علماء المناسبة:

20-3.indd 62 8/30/2023 8:44:50 PM

1. مستوى البنية الصغرى:

- المناسبة بين كلمات الآية الواحدة.

2. مستوى البنية الكبرى.

3. مستوى البنية الكلية:

- ترتيب الخطاب.
- اتساق بنية النص القرآني.
- البنية الهيكلية المعمارية للنص القرآني.

توطئة

اهتم علماء اللغة النصّيون على مرّ العصور ببؤرة أساسية وقضية جوهرية في الدرس اللساني النصّي، ألا وهي قضية نصّية النص، فبحثوا في المعايير التي تؤدي إلى التماسك النصّي مما تُحَقِّقُ للنص نصّيته، واشترطوا لذلك أن يتسم نسيج النص بجملة من السمات"كالربط والتماسك..."(بحيري،1995: 146) وجعلوها سمة محورية في بنائه، يؤول اللغوي من خلالها ويفهم العلاقات الكامنة في النص، فلم يعد الاهتمام بتحليل النصوص محصورًا في البحث في الأصوات والمفردات المعجمية والتراكيب اللغوية داخل إطار الجملة، ولكنه جاوز ذلك إلى مستوى أكبر إلى بنية النص، من خلال مجموعة من الوسائل اللغوية التي تسهم في تحقيق وحدته واستمراريته، فحين يحدد المتلقي عينة لغوية للدراسة لا بد له من أن يستدعي بنيتين للنص، أحدهما البنية الداخلية التي يتناول من خلالها الحديث عن مجموعة من وسائل الربط: كالإحالة والحذف والعطف والتكرار...، وغيرها من الوسائل مما اهتم به العلماء في سبيل تحقيق التماسك والربط النصّي، فالنص عند "هاليداي ورقية حسن" ليس وحدة تركيبية محصورة في حدود الجملة، ولا يمكن تحديده من حيث الطول والقصر، بل من حيث تماسك تلك الجمل، وترابط السابق باللاحق واللاحق بالسابق...(خطابي،1991: 13)، مما يجعل أجزاءه متآخذة مشكّلة بذلك كلًا موحدًا، وهي خصائص تميّز النص باعتباره كذلك، مما يجعله وحدة دلالية (خطابي،1991: 16)، وتتجلى أهمية هذا المنهج في أنه يقدم معايير علمية دقيقة في التحليل اللغوي،"فالنص حقّه أن يعرّف تبعًا للمعايير الكاملة للنصّية (Textuality)"(بوجراند،2007: 89 - 90).

ينطلق الباحثون في عملية التحليل النصّي من الجملة، وذلك من خلال دراستهم للعلاقات النحوية المعروفة على المستوى الأفقي، وينظر المحلل اللغوي إلى العلاقة الرأسية للنص

20-3.indd 63 8/30/2023 8:44:50 PM

في إطار محكوم بعلاقات نحوية سياقية ومعجمية، توثق روابط النص، ويوضح Van Dijk العلاقة التي تقوم بين الجمل أو العبارات في المتتاليات النصّية التي ترتكز على العلاقات الدلالية بين الجمل أو العلاقات الداخلية، وهي على ضربين: (علاقات مرجعية، وعلاقات المعنى أو القصدية) (انظر: دايك،2004: 154)، ويقصد بالعلاقة المرجعية: السياق الأفقي وترابط العلامات من حيث التنظيم والدلالة، وهذا شبيه إلى حدّ ما بما جاء به سيبويه في تقسيمه لأنواع الكلم (سيبويه،2004: 25/1 - 26)، فالتماسك الخطي على المستوى الرأسي والأفقي للنص يعتمد على الدلالة اللغوية والسياق الخارجي.

ورغم اعتماد الباحثين في تحليلاتهم اللغوية على الجملة بكونها الوحدة الأساس في تكوين النص، لكنهم لا يعترفون باستقلالها عن سياقها النصّي، بل يعدونها جزءًا من سياق مترابط متماسك مع ما قبله وما بعده، وهو امتداد لمستوى أكبر في تحليل مستوى البنية الكلية للنص، مع ارتكازه على معايير علمية وموضوعية في الدراسة،"لذا دعا Van Dijk إلى اتباع طرق جديدة في تحليل المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية للنص، للوقوف على ما يعتريه من إضافة أو حذف أو ذكر أو استبدال، وبهذا يكون Van Dijk قد خرج بالنحو من الانكفاء على دراسة البنية الصغرى (Microstructures) ممثلة بالجملة إلى العناية ببنية أكبر"(انظر: دايك، 2004، 154)، فالنص بنية كبرى[1] ذات موضوع واحد أو موضوعات متعددة، تدور كل العناصر التركيبية المكونة له في فلكها محاولة شرحها وتفسيرها وإعادة صياغتها، وقد أطلق الباحثون على هذه الأقسام مصطلح البنية الكبرى، التي هي شبكة من العلاقات المتولدة بين الأبنية الصغرى والمكونة لسلسلة تفضي إلى بنية كبرى، وتندرج هذه البنيات الكبرى في قالب عام وفي إطار موسّع أطلق عليه Van Dijk مصطلح البنية العليا (super structures)[2]، ويشير (Dijk) في أبحاثه النصّية إلى البنية الكبرى للنص بوصفها بنية دلالية "تتركب من قضايا كأي بنية دلالية، ويمكن القول بأن قضايا البنية الكبرى تتصل بنفس الوقائع على المستوى المجمل، مثلًا يستعان بالقضايا الآتية لوصف حدث ما:"ذهبت إلى محطة القطار، اشتريت بطاقة سفر،اتجهت إلى الرصيف وصعدت القطار، وتقدم في مستوى عام بوساطة القضية الآتية: سافرت بالقطار، فالقضية الأخيرة هي نفسها قيمة الحكاية التي قدمت فيها تفاصيل السفر بالقطار،

(1) * مصطلحا البنية العليا والبنية الكبرى قد ظهرا في سبعينيات القرن الماضي على يد العالم (Van Dijk)؛ إذ عمد إلى نقل مصطلحي البنيتين العميقة والسطحية للجملة من مجال النحو التوليدي التحويلي إلى مجال علم لغة النص (Dijk,1972: 365)

(2) * أطلق على البنية العليا مصطلحات منها التيمة"emath"والموضوع، وعلى الأبنية الكبرى الفقرة، وعلى الأبنية الصغرى العبارات أو الجمل، إلا أن هناك شبه اتفاق على أهمية تحديد كل منها عند تناول النصوص بالتحليل. انظر: (دايك، 2005: 87) وقد ورد مصطلح البنية الصغرى والبنية الكبرى لدى ابن هشام تحت مسمى الجملة الصغرى والجملة الكبرى في كتابه مغني اللبيب، فقد قسّم الجملة إلى نوعين بحسب اعتبار حجم الجملة أو طولها أو باعتبار تعدد قضايا الإسناد فيها، (انظر: الأنصاري،2000).

20-3.indd 64 8/30/2023 8:44:51 PM

فالبنية الكبرى اختزلت التفاصيل المختلفة في الجمل التي وردت في النص، ولم تحتفظ إلا بالخبر الأهم والأنسب"(دايك،1997: 87) ولا يوجد تفسير مطلق للأبنية الكبرى، فتحديدها قضية نسبية يعود إلى نوع القراءة لذلك النص، وتتدخل فيه عوامل براغماتية مثل: ثقافة القارئ والعلاقة بين طرفي الرسالة..."فالقرّاء يختارون من النص عناصر مهمة تتباين باختلاف معارفهم واهتماماتهم أو آرائهم، وعليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر"(فضل،1992: 236)، ولا يتسنى للمتلقي الظفر بالبنية الكبرى إلا بعد الوقوف على شبكة العلاقات الرابطة بين مجموع القضايا الجزئية في النص، فإذا تحقق ذلك الترابط في ذهن المتلقي، فإنه سيقوده إلى البنية الكبرى للنص.

وتعد البنية الكبرى مرحلة من مراحل بناء النص، التي تحيل القارئ وتوجّهه إلى البحث عن التماسك النصّي على مستوى النص كاملًا، وتثنيه عن البحث في التماسك بين جملة وأخرى تالية لها،"فهي البنى الدلالية ذات المستوى الأعلى التي تتمخض عن قضية كبرى أو عن سلسلة القضايا في النص بواسطة عدد من القواعد الكبرى"(Dijk،1978: 40)،"ويجب عدم الاهتمام في وصف الأبنية الكبرى بأوجه الربط بين جمل متفرقة وقضاياها، بل بأوجه الترابط التي ترتكز على النص بوصفه كلًا أو بالوحدات الكبرى للنص"(دايك،2005: 74)، ولا يمكن أن يصل القارئ إليها – البنية الكبرى -إلا بعد القراءة المتعمقة للنص، فهو يجهل موضوع النص والقضايا التي سيتناولها ومضامينها قبل القراءة، ويجب على المتلقي أن يتحلى بجملة من القواعد للوصول إلى تلك القضايا، أطلق عليها Van Dijk "القواعد الكبرى»، يلجأ إليها لاستخلاص البنية الكبرى، وتتمثل في: "الحذف والاختيار والتعميم والتركيب أو الإدماج"(دايك،2005: 81)، وهذه الضوابط لا تستطيع أن تعمل إلا بالاستناد إلى خبرات ومعارف القارئ، وما يحيط بالنص من ملابسات تصاحب مراحل إنتاج النص وتحوله من مرحلة التفكير العقلي، إلى مرحلة الوجود الفعلي، فكل ما يحيط بالنص يسهم بشكل كبير في تحديد دلالته وتعيين مقصوده.

أما الأبنية العليا (super structures)[1] فقد عدّها الباحثون نوعًا من الروابط النصّية على المستوى الأعلى للنص، وهي أبنية عُرفية وقوالب معمارية ومخططات هيكلية، توجه المحلل اللغوي عند النظر في النص، فهي: "نوع من المخطط المجرد الذي يحدد النظام الكلي لنص ما، وتتكون من مجموعة من المقولات التي تركز إمكاناتها التأليفية على قواعد عرفية نراها بوضوح في الشعر وفن القصص أو الروايات...، فقضية التصنيف بحسب النوع الأدبي مهمة في التحليل اللغوي، فلا مفرَّ لنا عند تحليل النصوص من

(1) * يطلق مصطلح الأبنية العليا على الأبنية الكلية التي تحدد خواص نمط معين من النصوص. (فضل، 1992: 221)

20-3.indd 65 8/30/2023 8:44:51 PM

توظيف معرفتنا الأدبية بخواص الأجناس التي تنتمي إليها هذه النصوص"(فضل، 1992: 331)، فالمخاطب عندما يشرع في قراءة قصيدة مثلًا يستدعي في عقله ذلك القالب الشكلي والمخطط التنظيمي للون محدد من ألوان الإنتاج الأدبي، مما يجعل الأمر مختلفًا عنه عند قراءة خطبة أو رسالة أو قصة... وقد أولى علماء النص قضية تجنيس الأعمال الأدبية أو تصنيفها في حقول أدبية اهتمامًا واضحًا، لذا نرى أن "رومان جاكبسون" سعى للتمييز بين أنواع النصوص وتحليلها "وقد ركّز فيه على الوظيفة اللغوية المهيمنة على النص، فتصنيف النصوص عنده بحسب الوظيفة الأكثر بروزًا فيها" (الأخضر، 2008: 106 - 107)، ولما فرغ "جاكبسون" من تصنيفه أشار إلى التداخل الذي يحصل بين هذه الوظائف عند الكلام، وانتهى "جون ميشيل آدم J.M.Adam"إلى أن أنواع النصوص غير متجانسة إطلاقًا، ويتجلى انعدام التجانس فيها في الفقرة الواحدة بل أحيانًا في الجملة الواحدة للتداخل بين الوظائف اللغوية في النصوص؛ لذلك اقترح بعض التعديل ليصبح تصنيف النصوص على النحو الآتي: "ما يغلب عليها الطابع الحجاجي أو يغلب عليها الطابع الإعلامي الإخباري، أو يغلب عليها الطابع السردي، أو يغلب عليها الطابع الوصفي"(انظر: الأخضر،2008: 112 - 113)، وفي هذا الشأن قدّم Van Dijk مفهوم البنية العليا الذي يعد تصورًا شكليًا في مسألة تجنيس النصوص وتعيين أغراضها التداولية (انظر: دايك،2005: 209 - 242 - 249)، ومن الجدير أن Van Dijk أشار إلى أنه لا يمكن أن يكون لكل نص بنية عليا "إذ توجد في نهاية المطاف نصوص لا تتكوّن إلا من جملة أو من كلمة الأمر:"تعال مثلًا"(دايك،2005: 217)، وبهذا فإن البنية العليا تميز بين أجناس النصوص، وهذا التمايز يسهّل على القارئ والمفسر عملية التلقي والقراءة والتحليل.

وخلاصة القول قدّم Van Dijk رؤية لسانية للسانيات النص وآلية علمية إجرائية في الكشف عن الأبعاد الدلالية التي تتضمنها النصوص؛ لبناء نحو للنص يهتم بالبنيات المشكّلة للنص الأدبي اهتمامًا يجعل من النص بناء مركبًا من بنيات ثلاث: البنية الصغرى: وهي الوحدة الأصغر في البناء النصّي المُعّبر عنها بلفظ العبارة أو الجملة، والبنية الكبرى ويعدها Van Dijk بنية دلالية: "تتركب من قضايا كأي بنية دلالية، ويمكن القول بأن قضايا البنية الكبرى تتصل بنفس الوقائع على المستوى المجمل... وترتبط البنية الكبرى بالقضايا المعبّر عنها في جمل النص عن طريق ما يُدعى بالقواعد الكبرى، وهي التي تحدد ما هو أساسي من محتوى نص ما، ويقصد بها البنية الإجمالية التي تحكم مضمون النص ونستنتجها من صلب البنيات الصغرى من خلال تطبيق عمليات دلالية مثل: الحذف والاختيار... ويطلق عليها Van Dijk اسم القواعد الكبرى، وترتبط بمفهوم النص من خلال التعامل مع المحتوى الكلي، أي أنها تتعلق بالمعنى الشامل للنص (فان دايك،2000: 150)، أما البنية الثالثة فهي البنية الكلية"العليا»، ويستعمل Van Dijk تعبير البنية الكبرى الشاملة -البنية العليا -وموضوع الخطاب بنفس المعنى، وبذلك يعد موضوع الخطاب والبنية الكبرى

20-3.indd 66 8/30/2023 8:44:51 PM

الشاملة تمثيلًا دلاليًا لقضية ما أو لمجموعة من القضايا أو لخطاب بأكمله، وأحيانًا أخرى يجعل موضوع الخطاب مفسرًا للبنية الكبرى الشاملة، ويعد موضوع الخطاب"مدار البحث عند Van Dijk وهدفه الأساس، فيرى أن لكل نص موضوعًا أو بؤرة معينة تُعد أساسه وما سواها من النص شرح وتفسير وإعادة صياغة في تلك البؤرة"(أبو خرمة،2004: 89)، وتعد هذه المستويات وسائل إجرائية يستند إليها محلل النص للوصول إلى دلالته العامة أو الكلية.

معيارية ربط البنى النصّية لدى علماء المناسبة:

لقد شكّلت محاولات ربط علماء المناسبة بين الآيات والسور مقاربة نصّية، كشفت مدى الوعي بقضية التماسك النصّي في نصوص القرآن، فالنص في نظرهم يجب أن يكون وحدة واحدة مترابطة يفضي أوله إلى أخره وآخره إلى أوله، وقد عبّروا عن ذلك بعبارات منها: كالكلمة الواحدة، يأخذ بعضه بأعناق بعض... وتتجلى دراساتهم النصّية في رؤيتهم الكبرى والعليا للنص القرآني على أساس أن النص القرآني نص واحد، وليس غريبًا أن يطلق على الحضارة العربية الإسلامية "حضارة النص»،"فالقرآن نص لغوي يمكن أن نصفه بأنه يمثل في تاريخ الثقافة العربية نصًا محوريًا، وليس من قبيل التبسيط أن نصف الحضارة العربية الإسلامية بأنها حضارة النص"(أبو زيد،1990: 9)، ولذلك نلمح وعيًا نصّيًا في تحليلات المفسرين وربطهم بين الآيات والسور في باب علم المناسبة، إلى حد جعل علماء التفسير يفردون له أبوابًا ومصنفات مستقلة، محاولين في ذلك رد المطعن في أن القرآن نزل منجمًا، ثم رتّبت آياته في المصحف، مما أنتج مقاربة نصّية تتجاوز حدود الجملة إلى النظر في آفاق النص القرآني، ظهرت على شكل مجموعة من الممارسات والآليات التحليلية التفسيرية للربط النصّي على مستوى الآية الواحدة"البنية الصغرى»، أو بين الآيات في السورة الواحدة على مستوى"البنية الكبرى»، أو بين السور في القرآن كاملًا"البنية العليا»، فتناولوا كل موضع استوقف القارئ لتحديد وجه الربط والتماسك، فلم تخلُ كتبهم من الإشارات النصّية كالإحالة بالضمير واسم الإشارة والاسم الموصول، وقد تحدث المناسبة عن مرجعية الضمير في النص القرآني إلى سابق ولاحق وإلى ما هو خارج النص، وكذلك تأكيدهم دور المتلقي في معرفة مرجعية الضمير، وأشاروا في غير موضع إلى تعدد الضمير وتعدد المحال عليه، وتعاملوا مع ذلك بطريقة تحليلية تفسيرية طرحوا من خلالها كل الاحتمالات التي قد ترد في ذهن المتلقي، وتحدثوا أيضًا في سياق ربطهم عن أسماء الإشارة والأسماء الموصولة وإحالاتها النصّية، دون الإشارة لمصطلح الإحالة، فقد وردت تلك التلميحات النصّية في مصنفاتهم على شكل ممارسات فنية؛ إدراكًا منهم أن النص القرآني يحتمل أوجهًا متعددة لغناه وتماسكه، فحين تتعدد مرجعية الضمير تتعدد الاحتمالات والدلالات، فيزيد بذلك الارتباط والتماسك.

20-3.indd 67 8/30/2023 8:44:51 PM

ويعد التطابق بين الضمير ومرجعيته من أهم الوسائل الدالة على ترابط النص وتماسكه، وإذا كان الأصل في الضمائر العربية أن يعود كل ضمير على محدد مطابق له ومتجانس معه في العدد والجنس والجهة، فإن لهذا التطابق وجهًا آخر عُرِف عند العرب بأسلوب الالتفات، وهو من الأساليب المتميزة التي استخدمها القرآن، وظهرت عند علماء التفسير في مؤلفاتهم، ويكاد يجمع علماء التفسير على أن أسلوب الالتفات يقوم أساسًا على"نقل الكلام من أسلوب إلى آخر"(انظر: الزركشي،1984: 3 / 314)؛ وذلك لأسباب وأغراض كثيرة أهمها: تنبيه وتجديد نشاط السامع وإبعاده عن الملل بدوام الأسلوب، ولكن لكل موضع من مواضع الالتفات في النص فائدة بحسب اختلاف موضعه، ونصوص القرآن مليئة بأسلوب التنويع والتلوين في التنقل بين الضمائر لإيصال المعنى بأبلغ لفظ.

كذلك الأسماء الموصولة، فهي من أهم الأدوات التي تسهم في ترابط النص بما يحقق له نصّيته، وقد وصف الاسم الموصول بأنه: "من الأسماء ما افتقر أبدًا إلى عائد أو خَلَفه، وجملة صريحة أو مؤولة غير طلبية ولا إنشائية"(القاضي، 2010: 5/3)، ويعرّفها ابن يعيش تعريفًا وظيفيًا يبين من خلاله وظيفة إحالة الاسم الموصول على جملة صلة الموصول المفسّرة والموضّحة له، فيقول:"والقسم الثاني من المبهمات وهو الاسم الموصول، كـ الذي والتي ومَنْ وما... وكلها معارف بصلاتها، فبيانها بما بعدها أيضًا.... والموصولات تبيّن بالجمل بعدها..."(ابن يعيش،1998: 86)، وفي مثل هذا المعنى قال الزّناد:"فالأسماء الموصولة تكتفي بوظيفة التعويض، إذ تعوّض وتربط ربطًا تركيبيًا، وهي بحكم إبهامها تحتاج صلة تفسرها، والصلة ينبغي أن تكون معلومة للسامع في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول"(الزناد،1993: 118)، فالاسم الموصول اسم غامض المعنى مبهم الدلالة، وغموضه هذا يجعله وسيلة من وسائل التماسك والربط النصّي، فهو يستلزم وجود جملة بعده تفسّر وتوضّح وتزيل إبهامه، ومن ناحية أخرى فإن جملة صلة الموصول تشتمل على عائد مطابق للاسم الموصول يربط الجملة به، ويؤذن بتعلقها بالموصول، فالإحالة بالموصول إحالة مركّبة يقوم بها الاسم الموصول بالاشتراك مع صلته وما تحتويه من عائد يحيل على الاسم الموصول.

وتعد الإحالة باسم الإشارة شكلًا من أشكال الإشارة اللفظية، إذ يعيّن المتكلّم المحيل عليه عن طريق تحديد مكانه من حيث القرب والبعد ووجهته للداخل أم للخارج، فهي غير ذات معنى في ذاتها، ويستعمل اسم الإشارة استعمال الروابط، فينقل معنى ما يسبقه إلى معنى ما يلحقه، فتقوم بدور الربط بين الأجزاء السابقة واللاحقة مما يسهم في تحقيق الربط النصّي، وجوهر تلك الإحالات الرابطة باسم الإشارة كونها مبهمات،"لا يُشار بها إلى شيء فيقتصر بها عليه حتّى لا تصلح لغيره..."(ابن الخشاب،1972: 304)، وأدوات الإحالة الإشارية تقوم بالربط النصي عندما تستخدم في الإحالات القبلية والبعدية، وهذه

20-3.indd 68 8/30/2023 8:44:51 PM

الروابط تختلف في مداها ومجالها، فبعضها قد يقف عند حدود البنية الصغرى، وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى البنية الكبرى، وتستخدم أسماء الإشارة في التكثيف الدلالي؛ لأنها تشير إلى عدد كبير من الأحداث، وتفيد الاختصار والبعد عن التكرار، لذا وَصَفَ (هاليداي ورقية حسن) أسماء الإشارة بإحالتها الموسعة، أي إمكانية الإحالة على جملة أو متتاليات من الجمل.

أما الربط بالعطف فيعد واحدًا من الأدوات التي تعمل على الربط بين الجمل المتتالية، وقد جعله (هاليداي ورقية حسن) أولى وسائل الوصل التي تعمل على اتصال عنصر سابق بآخر لاحق اتصالًا منتظمًا (hallday and hasan، 1976: 227)، ولأهمية العطف في تماسك النص، ذهب بعض الباحثين العرب إلى أن"نواة نحو النص هي عطف الجملة على الجملة، وإلى أن بنية النص أقرب ما تكون إلى بنية مركب العطف (الشاوش،2001: 423/1)، ويشير الزّناد إلى أهمية أدوات العطف بقوله:"وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص (انظر، الزناد،1993: 37).

وقد عُني اللغويون القدامى بموضوع العطف: العطف بين المفردات، والعطف بين الجمل، ولا يخفى ما لحروف العطف من دور في الترابط النصي، فالعطف علاقة اتساع من جهة تكوينه علاقات نصية جديدة، إذ يرتبط العنصر اللغوي بغيره فيكون علاقة اتساع، كذلك من حيث ربط الجملة بغيرها، وكذلك يعد علاقة اقتصاد إذ إن بنيته تتكون من اشتراك التركيب الثاني مع سابقه في الحكم، فيعوض حرف العطف عن تكرار الحكم المُسند للعنصر اللغوي (انظر، أبوخرمة، 2004: 184)، وقد ظهر اهتمام المفسرين بأدوات العطف من خلال نظرتهم للسياق النصي ودوره في تحقيق الترابط، فينقل السيوطي عن فخر الدين الرازي قوله:"إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط...، وينقل قول ابن العربي في سراج المريدين:"ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني...، وقال عز الدين بن عبد السلام: المناسبة علم حسن لكنه يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره»(السيوطي، 2008: 3 / 369)، واتخذ العطف الصورة الأظهر في ربط المفسرين للجمل داخل تركيب الآية الواحدة، وقد اهتموا بقضية تعيين إحالة حرف العطف، كذلك ظهرت عنايتهم بالحذف بتقديرهم للمحذوف، سواء أكانت بوجود دليل لفظي أو من خلال السياق المقامي أو الحالي، وقد تعددت أنواع الحذف في القرآن وتنوعت بين حذف الحرف والكلمة والجملة، وقد أدرك علماء التفسير ما للحذف من أهمية في تحقيق الربط والتماسك النصّي، فأطلق عليه السيوطي مصطلح الاحتباك.

وقد قدّم السيوطي بعضًا من العلاقات النصّية التي توضّح مدى إدراك علماء التفسير لدور العلاقات النصّية الدلالية في تحقيق الترابط النصّي، مما يجعل الكلام متناسقًا مترابطًا

20-3.indd 69 8/30/2023 8:44:52 PM

يأخذ بعضه بأعناق بعض،"ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب أو المسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المُحْكَم المتلاحم الأجزاء"(السيوطي،1976: 164/2)، ومما أشار إليه علماء المناسبة في ممارساتهم الفنية وتحليلاتهم النصّية في هذا السياق من علاقات: المقامية والاستطراد والتمثيل والتضاد والخاص بعد العام...

ولا نغفل الحديث عن الجانب المعجمي في تحقيق الربط النصّي، ويتمثل ذلك في إشارات علماء التفسير للتكرار والمصاحبة المعجمية وما لهما من دَوْر في تحقيق الترابط وتَحديد دلالة الألفاظ والتراكيب القرآنية، التي لا يُمكن أن يتوصل إلى فهم دلالتها في النص القرآني مُنعزلة عن فكرة تحليل ما يصاحبها من علامات لغوية.

والناظر يدرك أن تلك الإجراءات لم تكن مجرد إشارات عابرة وتحليلات شخصية عامة في الربط بين عناصر النص القرآني، ولكنها منهج في العمل والتحليل سار عليه علماء التفسير، مما جسّد وعيًا نصّيًا دفع بعضهم للقول بأن الترابط النصّي في علم المناسبة مظهر من مظاهر إعجاز القرآن؛ لأنه يقوم على البحث في الآليات التي كانت من أسباب تميز النص القرآني واختلافه عن بقية النصوص، فقد تميّز النص القرآني بترابط وتماسك كلّي من بدايته إلى نهايته، من خلال ترابط مفرداته وعناصر تركيبه اللغوي في سياق الآية أو الآيات المتتالية، مما يعني أن النص القرآني يُعالَج بوصفه وحدة بنائية بكل حروفه وكلماته وآياته وسوره وأجزائه، كالجملة الواحدة أو البناء المحكم الذي يمتنع اختراقه لمتانته وقوته (انظر:العلواني،2006: 13)، وقد أنكر الله عز وجل على المُقتسمين فعلهم: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (سورة الحجر،91)، وهذه النظرة الشمولية للنص القرآني ليست وليدة العصر الحديث، عصر اللسانيات النصّية، ولكنها وجدت من قبل في التحليلات والممارسات التي يمكن أن أطلق عليها مصطلح"تحليلات نصّية" لدى علماء التفسير وعلوم القرآن، الذين نظروا للنص القرآني نظرة كلية سواء أكان على مستوى الآية أم السورة أم النص القرآني كاملًا.

تناسق البنى النصّية لدى علماء المناسبة:

مستوى البنية الصغرى:

تجسدت الرؤية النصية لدى علماء التفسير في أثناء ممارساتهم التفسيرية في الربط بين الآيات والسور، عندما انتقلوا من الآية إلى الآية ومن السورة إلى السورة ومن السورة إلى القرآن كاملًا، وقد ظهر ذلك جليًا في تفسيراتهم لآليات الربط والتماسك في

20-3.indd 70 8/30/2023 8:44:52 PM

القرآن، ويشير علماء المناسبة إلى أنواع من المناسبة توضّح للدارس آليات تحقيق الترابط النصي على مستوى البنيات النصّية المختلفة، في السورة الواحدة أو في السور المتجاورة، ولكل قسم صور تندرج تحته، على النحو الآتي:

المناسبة بين كلمات الآية الواحدة:

للقرآن خصوصية في استعمال العلامات اللغوية، إذ تأتي العلامة اللغوية داخل نسيج النص القرآني بوصفها بنية سياقية ذات قيمة دلالية محددة، ولا يتحقق التناسب بين تلك العلامات إلا إذا وضعت كل علامة في الموضع الذي جاءت فيه، ولو استُبْدِل بها غيرها لاختل ذلك النظام وذهب التناسب، وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة، 104). فالعلامة اللغوية داخل نسيج النص القرآني وفي سياق الآية، منسجمة متلاحمة في التركيب والدلالة مع ما قبلها وما بعدها،»ولو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها لم يتهيأ ذلك وما اتسعت له اللغة بكلمة واحدة"(انظر: الواحدي،1995: 52/1)، فألفاظ القرآن صُبِغَت بِصِبْغَة قرآنية أكسبتها التفرّد في موضعها للتعبير عن المراد، على هيئة صور من المناسبة، كمناسبة اللفظ والمعنى، والتناسب في الإفراد والجمع، كذلك المناسبة في استعمال الفعل والاسم، والتناسب في التقديم والتأخير، والتناسب في الحذف والذكر، كل ذلك يأتي متناسبًا مع نسيج النص القرآني الذي وردت فيه الآية، ويختلف باختلاف الموقف الذي يتطلب التعبير عنه.

مستوى البنية الكبرى:

تترابط الآيات المتجاورة على مستوى البنية الكبرى بنية السورة الواحدة في صورتين من الترابط المكمّل أو المستقل (انظر: الزركشي، 1984: 62/1)، فقد تتعدد موضوعات السورة الواحدة، لكن من خلال الربط بين المضامين نجد أنها تهدف إلى أمر واحد أو هدف واحد يُراد إيصاله إلى المتلقي، ومثال ذلك ما جاء في سورة الكهف، فقد تضمنت هذه السورة موضوعات مختلفة، إلا أن كل تلك الموضوعات تنطوي على فكرة أو هدف واحد، وهو نبذ زينة الحياة الدنيا إما مباشرة أو بنحو غير مباشر (انظر: البستاني،2001: 55/3)، فهي"أبنية كبرى ذات مستويات متدرجة متباينة، يطابق المستوى الأعلى فيها موضوع النص، ويعرض بشكل محدد؛ بوصفه تتابعًا جمليًا يقدم المعلومة النواة، أي ينظر إليه على أنه أكبر تكثيف ممكن للنص (انظر: آدمتسيك،2009: 270).

ومن أوجه الربط على مستوى البنية الكبرى ما أشار إليه علماء التفسير من ربط بين اسم السورة ومقصدها، فقد عُرفت كل سورة من سور القرآن باسم خاص بها، واختصت بعضها بعدة أسماء، وغالبًا ما يكون اسم السورة مترجمًا عن مقصودها: "لأن اسم كل شيء

20-3.indd 71 8/30/2023 8:44:52 PM

تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه وعنوانه الدال إجمالًا على تفصيل ما فيه"(البقاعي،1995: 12/1)، ففي سورة النساء"كان السبب الأعظم في اجتماع وتواصل الأرحام العاطفة التي مدارها النساء سُميت النساء لذلك؛ ولأنّ بالاتقاء فيهن تحقق العفة والعدل الذي لُبَابُه التوحيد"(البقاعي،1995: 18/1)، فعتبة العنوان في النص تمثل عند (Dijk) جزءا رئيسًا من البنية الكبرى، إن لم يكن هو البنية الكبرى نفسها؛ ذلك بأن العنوان يقدم للمتلقي إضاءة كبرى عما يتضمنه النص من موضوع رئيس أو موضوعات جزئية لهذا الموضوع الرئيس. (انظر: دايك،2005: 77)

مستوى البنية الكلية:

ترتيب الخطاب:

رأى علماء التفسير أن النص القرآني نص واحد متكامل يرتبط أوله بآخره وآخره بأوله، فهو بناء محكم لا يقبل التجزئة، فقيل: إن القرآن كله كالسورة الواحدة يذكر الشيء في سورة ويأتي بالجواب في سورة أخرى (الأنصاري،2004: 3 / 336)، هذه النظرة الكلية دفعت أصحاب علم المناسبة للبحث عن أوجه الربط التي تحقق الوحدة العضوية للقرآن كاملًا، فذهبوا للقول بأن للنص القرآني مقاصد تدور حول بؤرة محددة، وهي مقاصد القرآن الأساسية ومعانيه الكلية المطردة في جميع أجزاءه، كالتوحيد والأحكام الشرعية وأحوال المعاد، ورأى علماء التفسير أن سورة الفاتحة جامعة لكل تلك المقاصد والمعاني، وهذا يتجلى فيما دار في كتب التفسير من تلميحات عكست في مجملها رؤية كلية جعلت من القرآن دائرة مترابطة تفضي كل سورة منها إلى الأخرى، ففي ذكرهم لسورة الفاتحة وسبب تسميتها بذلك قالوا:"أَنَّهَا مَبْدَؤُهُ وَمُفْتَتَحُهُ فَكَأَنَّهَا أَصْلُهُ وَمَنْشَؤُهُ، يَعْنِي أَنَّ افْتِتَاحَهُ الَّذِي هُوَ وُجُودُ أَوَّلِ أَجزَاء الْقُرْآن قَدْ ظَهَرَ فِيهَا فَجُعِلَتْ كَالْأُمِّ لِلْوَلَدِ فِي أَنَّهَا الْأَصْلُ وَالْمَنْشَأُ ... والثاني أنها تشتمل محتوياتها على أنواع مقاصد القرآن، وهي ثلاثة أنواع: الثناء على الله ثناء جامعًا لوصفه بجميع المحامد...، وإثبات تفرده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء، وذلك من قوله:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الفاتحة،2) إلى قوله:﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة،4)، والأوامر والنواهي من قوله:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(سورة الفاتحة،5)، والوعد والوعيد من قوله:﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ ﴾ (سورة الفاتحة، 7) إلى آخرها، فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كله، وغيرها تكملات لها" (ابن عاشور، 1984: 1 / 75).

وقاعدة الربط بين السور كما يراها السيوطي، تقوم على أساس أن بعضها تفصيل لما أُجْمِلَ في بعض، فيقول في ذكره لمناسبة سورة البقرة لسورة الفاتحة:"قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات: أحدها أن القاعدة التي استقرأتها من القرآن: كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح له وإطناب لإيجازه، وقد استمر ذلك في غالب سور

20-3.indd 72 8/30/2023 8:44:52 PM

القرآن طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة... (السيوطي، 1983: 36)، فسورة الفاتحة فيها إحالة لاحقة على جميع سور القرآن،"فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلًا، فإنها واقعة في مطلع التنزيل والبلاغة فيه أن تتضمن ما سيق الكلام لأجله"(السيوطي،1983: 75/1)

ولم يكتف السيوطي في سياق بحثه عن أوجه الربط النصي بالنظر في علاقة الآيات والسور بعضها ببعض، بل سعى لوضع قاعدة عامة في تحقيق التناسب وذلك بقوله:"الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاجه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر في مراتب تلك المقدمات قربًا وبعدًا من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له...، فهذا هو الأمر الكلي المعين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن"(السيوطي،1993: 128/2)، فلكل سورة من سور القرآن على حد قول السيوطي غرض رئيس وبؤرة أساسية –بنية كبرى- تدور حولها مجموعة من المقدمات الشارحة والموضحة لها، والتي تنبعث من الغرض الرئيس ثم تنعكس عليه، وتبتعد هذه المقدمات وتقترب، فمنها ما يقع داخل حدود البنية الكبرى للنص بنية السورة الواحدة، ومنها ما يخرج إلى حدود البنية العليا للنص القرآني، مما يكسب النص القرآني تماسكًا على مستوى البنية العليا "فهذا هو الأمر الكلي المعين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن».

وفي ذلك يقول البقاعي: "فلك أن تقرر الاتصال والالتحام بوجه آخر ظاهر الكمال بديع النظام فتقول: لما قرب نهاية الدائرة السّوريّة آخرها بأولها ومفصلها بموصلها، اشتد تشاكل الرأسين، فكانت هذه السور الثلاث الأخيرة مشاكلة للثلاث الأولى في المقاصد وكثرة الفضائل والفوائد: الإخلاص بسورة التوحيد آل عمران وهو واحد، والفلق للبقرة طباقًا ووفاقًا، فإن الكتاب الذي هو مقصود سورة البقرة خير الأمور فهي للعون بخير الأمر، والفلق للعوذ من شر الخلق المحصي لكل خير...، والناس للفاتحة فإنه إذا فرغ الصدر الذي هو مسكن القلب الذي هو مركب الروح الذي هو معدن العقل كانت المراقبة، فكان ذلك بمنزلة تقديس النفس بالتوحيد والإخلاص ثم الاستعاذة من كل شر ظاهر ومن كل سوء باطن للتأهل لتلاوة سورة المراقبة بما دعا إليه الحال المرتحل وما بعدها من الكتاب، على غاية بين السداد والصواب، وكأنه اكتفى أولًا بالاستعاذة المعروفة كما يكتفي في أوائل الأمور بأيسر مأمور، فلما ختم الختمة جوزي بتعوذ القرآن ترقبه إلى الإحسان، فاتصل الأول بالآخر أي اتصال بلا ارتياب واتحد به كل اتحاد..."(البقاعي،1990: 440/22 - 441).

20-3.indd 73 8/30/2023 8:44:52 PM

وهكذا يضعنا السيوطي وعلماء القرآن إزاء النص الدائري الذي يلتقي آخره بأوله وتتلاقى أجزاؤه التقاء متناسبًا مترابطًا، ولا أدلّ على ذلك من قول البقاعي:"ووجه فوت أم القرآن للقرآن أن القرآن مقصود تنزيله التفصيل والجوامع فيه نجوم مبثوثة غير منتظمة واحدة إثر واحدة، والجوامع في أم القرآن منتظمة واحدة بعد واحدة إلى تمام السبع على وفاء لا مزيد فيه ولا نقص عنه"(البقاعي،1990: 1 / 22)، وفي موضع آخر يشير البقاعي إلى أن سورة الفاتحة أمًا للقرآن؛ لأن القرآن جميعه مفصل من مجملها (انظر: البقاعي،1990: 1 / 23)، فسورة الفاتحة الصورة الكلية التي تعكس بنية القرآن الكريم كاملًا، فقوله تعالى:﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إجمال لكل النعم التي أنعم الله بها على عباده، وقد جاء تفصيل لذلك الإجماع في نوعين من السور: النوع الأول السور التي بُدِئت بالحمد، وهي سورة الأنعام والكهف وسبأ وفاطر، التي أشارت إلى جميع النعم المندرجة تحت النعم الأربع التي اشتملت عليها سورة الفاتحة، فسورة الفاتحة بمثابة الركن الرئيس، وما التذكير في كل ربع من القرآن بعبارة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلا دليل على الوحدة الكلية للنص القرآني، فقد بدأت الفاتحة بقوله تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾،"ووصف بأنه مالك جميع المخلوقين، وفي الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك، بل بفرد من أفراد صفاته، وهو خلق السماوات والأرض والظلمات والنور في الأنعام، وإنزال الكتاب في الكهف، وملك ما في السماوات وما في الأرض في سبأ، وخلفهما في فاطر لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه، فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمّها وأشملها"(السيوطي،1969: 2 / 302)

ولم يكتف علماء التفسير بربط الفاتحة مع السور المبدوءة بالحمد، بل تجاوزوا ذلك إلى سور أخرى، فربطوا بين سورة الفاتحة وسورة البقرة وآل عمران... (انظر: الزركشي،1984: 38/1) وأشاروا إلى ارتباط المعوذتين بسورة الفاتحة وفي ذلك إحالة تقدمية على جميع القرآن، فلما كان القرآن من أعظم نعم الله على عباده والنعم مظنة الحسد ختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة وأنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين؛ لتحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فتكون الاستعاذة اشتملت طرفي الابتداء والانتهاء(انظر: السيوطي،1969: 77/1 - 78).

وقال الزركشي في مناسبة افتتاح سورة لخاتمة ما قبلها عمومًا:"إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة قبله ثم هو يختفي تارة ويظهر أخرى"(الزركشي،1984: 38/1)، ومثال ذلك المناسبة بين أول سورة الكهف وآخر سورة الإسراء (انظر: البقاعي،1990: 2/12) ومن أوجه المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة السورة التي بعدها ما ذكره السيوطي في قوله: أمرًا آخر استقرأته وهو أنه إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد فإن خاتمة السورة الثانية تكون مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة

20-3.indd 74 8/30/2023 8:44:53 PM

على الاتحاد"(السيوطي،1976: 87)، وفي مناسبة مضمون سورتين متجاورتين قال البقاعي في تناسب سورة الكوثر لسورة الماعون"الدين""لما كانت سورة الدين بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت بإفهامها داعية إلى معالي الشيم، فجاءت الكوثر لذلك، وكانت الدين قد خُتمت بأبخل البخلاء وأدنى الخلائق... فابتُدِأت الكوثر بأجود الجود، العطاء لأشرف الخلائق؛ ترغيبًا فيه وندبًا إليه، فكان كأنه قيل أنت يا خير الخلق غير متلبس بشيء مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون»(البقاعي،1990: 8/619).

استطاعت محاولات علماء المناسبة في نظرتهم العليا للنص القرآني، أن تدل على مدى وعيهم النصّي ونظرتهم الكلية للقرآن الكريم، وأنه كلّ لا يتجزأ، وعدوا ذلك من أبواب إعجاز القرآن، واحتجوا بأن النص القرآني امتاز على غيره من النصوص لما فيه من ترابط واتساق جعل منه نصًّا واحدًا، علمًا أنه نزل منجّمًا على مدى ثلاث وعشرين سنة دون أن يؤثر ذلك في ترابطه وانسجامه.

اتساق بنية النص القرآني:

الحديث عن عناصر وآليات الربط النصّي بما يتعلق بالتركيب والدلالة على مستوى البنية العليا، يدفعنا لتعميق البحث والغوص في أمهات كتب التفسير؛ للبحث عن الآليات والوسائل التي جسدت الرؤية الكلية للنص القرآني لدى علماء المناسبة في تحليلاتهم وتوجيهاتهم، وخاصة في الحديث عن الآيات المتشابهات في القرآن، وقد أشار الكرماني إلى وجوه التناسب بين الآيات المتشابهات، فحينما يذكر تلك الآيات، يبيّن سبب الزيادة والنقصان والذكر والحذف والتقديم والتأخير أو إبدال حرف مكان حرف، أو سبب التكرار... ويربط كل ذلك بالآيات السابقة واللاحقة للآية، ويبين الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، والفائدة من ذلك في قوله:"وهل كان يصح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها وتمتاز بها عن أشكالها"(الكرماني،1986: 10 / 317)، فقد أدرك علماء المناسبة ما لتلك الأدوات المعيارية من دور في تحقيق التابط النصي في النص القرآني، فالحذف والذكر لا يأتي في موضع إلا لتحقيق غرض بلاغي، ولا يذكر الشيء في موضع آخر إلا لتحقيق التكامل النصّي في إيصال المعلومة، فقد نقل الزرقاني قوله: كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض، كحذف الحرف من (قرءنا) بيوسف والزخرف وإثباتها في سائر المواضع؟... وكيف تتوصل إلى حذف بعض التاءات وربطها في بعض؟ فكل ذلك لأسرار إلاهية...(انظر: الزرقاني،1980: 1 / 345)، ويقول الدكتور صلاح الخالدي:"ولم يأت ذكر الحرف في موضع وحذفه في موضع آخر قريب منه مصادفة، وإنما جاء لحكمة مقصودة تقرر المعنى المراد وتحقق الإعجاز البياني الرفيع..."(الخالدي،2008: 186)، وقد وضّح الدكتور فاضل السامرائي هذه الظاهرة في حديثه:"قد يحذف في التعبير القرآني من

20-3.indd 75 8/30/2023 8:44:53 PM

الكلمة نحو: استطاعوا واسطاعوا وتتنزل وتنزل وتتوفاهم وتوفاهم ولم يكن ولم يك وما إلى ذلك، وكل ذلك لغرض وليس اعتباطًا، فالتعبير القرآني تعبير فني مقصود كل كلمة بل كل حرف إنما وضع لقصد"(السامرائي،2000: 11).

ويعد العطف من أهم أدوات الربط النصّي وأكثرها شيوعًا في الاستخدام اللغوي، ولم يغب دور العطف عن فهم علماء التفسير في مستوى البنية العليا، وقد أشاروا إلى ذلك، فتحدثوا في المتشابه من الآيات عن آلية الربط بالعطف، وأشاروا إلى أنه باب"يحتاج ذكاء خاصًا وعلمًا ملهمًا في بيان أسراره"(دراز،1986: 17)، فقد تأتي الواو في آية والفاء في آية أخرى في باب المتشابه في القرآن، أو الفاء في آية وثم في أختها، أو تأتي الآية بالواو في نسق وبدون الواو في نسق آخر بناء على ما يقتضيه المقام، وإذا كان غرض المفسرين والبلاغيين بيان أسرار ذلك الاختلاف، فقد تناول علماء المناسبة ذلك إضافة لسعيهم في تبيان أوجه التناسب بين تلك الآيات التي تعاور فيها العطف على مستوى البنية العليا للقرآن.

ومن مظاهر الإحالة الداخلية التي تقوم على تعويض عنصر في النص بعنصر آخر الاستبدال، ويتم على المستوى النحوي المعجمي بين عبارات النص، وتحكم العلاقة القبلية بين عنصر في النص وعنصر سابق ما يضفي استمرارية المعنى على النص (انظر: خطابي،1991: 20)، وهذا ما أشار إليه (هاليداي ورقية حسن) إذ يريان أنه:"ينبغي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق، أي أن المعلومات التي تمكن القارئ في تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص"(انظر: خطابي،1991: 21)، وتتجلى تلك الفكرة في توجيه علماء التفسير للآيات المتشابهة، فقد أدرك علماء التفسير مدى الاختلاف في البنى التركيبية في الآيات المتشابهات عند مقارنة بعضها ببعض، وخاصة في المتشابه اللفظي، ووعيهم بقضية الاختيار أو الإيثار في استبدال مفردة لفظية بأخرى، وترتيبها داخل نسيج النص، إذ تأتي العلامة اللغوية بقيمة دلالية محددة داخل السياق النصّي للقرآن، ويكون وجودها ضروريًا في ذلك الموضع وبحسب محور الآية أو الجملة الأفقي أو العامودي، فلا يتحقق التناسب إلا بتلك اللفظة وفي ذلك الموضع، فالبدائل السياقية اللفظية الوارد في التراكيب اللغوية على المستوى الأفقي والعامودي يفرض قيودًا دلالية سياقية.

ومن أوجه اتساق بنية النص القرآني على مستوى البنية العليا، الاتساق الدلالي المتضمن في العلاقات الدلالية في مناسبة بداية السورة وخاتمة التي قبلها، كأن تأتي سورة مفصّلة لما أُجْمِلَ في سورة أخرى، إن هذه العلاقة البلاغية شديدة الصلة بالتماسك النصّي، إذ التفصيل يعد شرحًا لما تم إجماله في موضع آخر، ومن هنا نرى أن"التفصيل يحمل المرجعية الخلفية لما سبق إجماله في الإجمال، وكذلك يمثل ردًا للعجز على الصدر"(الفقي،2000:

20-3.indd 76 8/30/2023 8:44:53 PM

141/2)، فهذه العلاقة تربط بين السور، فما أُجْمِلَ في سورة جاء مُفَصّلًا في السورة التي تليها أو في سورة أخرى، ويتجلى ذلك في العلاقة بين سورتي (المؤمنون) والحج، ومن العلاقات الدلالية القائمة على الدليل والبرهان ما جاء بين أول سورة القلم وآخر سورة الملك، وأما ما جاء على أساس البرهان ما ختمت به سورة النور من تعظيم رسول الله والتهديد لمن تجاوز الحد، فافتتحها بمثل ما ختم سورة النور من بيان قدرته وشمول علمه، لكن"على وجه هو برهان عليه فقال:﴿تَبَارَكَ﴾، أي ثبت ثبوتًا مع اليمين والخير الذي به سيقت الرحمة الغضب والتعالي في الصفات والأفعال، فلا ثبوت بدايته ولا يكون ذلك كذلك إلا بتمام قدرته، ولا تتم قدرته إلا بشمول علمه..."(البقاعي،1990: 291/5).

وفي الحديث عن شرح سورة وبيانها لأخرى، ما جاء من شرح آخر سورة الرحمن لأول سورة الواقعة،"(انظر: البقاعي،1990: 7 / 407) أما البيان فقد جاء متناسبًا بين آخر الحديد وبداية سورة المجادلة التي تضمنت قدرته تعالى على سماع الأصوات مهما كانت خافتة (انظر: البقاعي،1990: 393/8)، ومن العلاقات الدلالية علاقة التعليل والمتجسدة بشكل واضح في علاقة سورة التكاثر المعللة لخاتمة سورة القارعة، وتتجلى علاقة السؤال والجواب في الربط بين سورة البيّنة وسورة الزلزلة، وتبرز علاقة التأكيد ختام سورة النبأ وبداية سورة النازعات، فقد ختمت سورة النبأ بذكر الروح والملائكة وتمني الكافر أن يكون ترابًا في الدنيا، وجاء التأكيد عن طريق القسم في أول سورة النازعات»أي ينزع الأرواح على الوجه الذي ذكره بأيدي الملائكة عليهم السلام على ما يتأثر عنه من العبث، وساقه على وجه التأكيد بالقسم لأنهم به مكذبون..."(انظر: البقاعي،1990: 8 / 308) .

البنية الهيكلية المعمارية للنص القرآني:

جعل Van Dijk القوالب والمجسمات الهيكلية معيارًا منهجيًا للظفر بالبنية العليا، فهي»تمثل أنظمة اعتيادية وأخر ثانوية، توجه المحلل اللغوي عند النظر في النص، فإن مستعمل اللغة يدرك طبيعة هذه الأنظمة، وهو قادر على أن يميز ما إذا كان ذلك النص ينتمي إلى نمط الحكي أو إلى الشعر أو إلى نمط نصي آخر؛ وفي هذه الحال يكون إدراكه خاضعًا للعرف الذي تسالم عليه مستعملو اللغة تجاه أنماط نصية معينة خارجة عن نطاق الاستعمال اللغوي المعتاد (انظر: دايك، 2005: 216)، فمستعمل اللغة يعرف ضمنا قواعد النظام الخاص بالبنية العليا للنصوص، مثل نظام الوزن العروضي والقافية والإيقاع الداخلي... للشعر، وعناصر السرد القصصي وغيرها.

فإذا حاولنا النظر في البنية العليا للنص القرآني من حيث كونه نصًّا لغويًا ينتمي إلى بناء رمزي وكيان من العلاقات الداخلية"لغة»، فإنه لابد أن نقف بداية عند طبيعة هذا الجنس الأدبي،» فالقرآن لم يخرج في تقنيات استعماله للكلمات عن قواعد اللغة نفسها، ولم

20-3.indd 77 8/30/2023 8:44:53 PM

يحدث قطيعة مع سائر استعمالاتها ووصف بأنه (قرآنًا عربيًا) ولم يحتج كل من سمعه في مكة إلى شرح أو توضيح، رغم ذلك لم يستطع أحد ممن سمعه تصنيفه، بل أخرجوه من باب الشعر والنثر والسحر والكهانة، مما يعني أن تعالي النص القرآني وخصوصيته ليست فقط في المعنى المستقى منه، أو في الصور البيانية التي جهد العرب في وضع قوانينها واكتشاف محتملاتها في النص القرآني، بل هي أيضًا في نظام لغته الخاصة"(انظر: قانصوه،2011: 13)، فالعبرة ليست فقط في العلامات اللغوية أو آلية صياغة التراكيب اللغوية الحاصلة في النص القرآني، بل في نظمه المتمثل في معمارية بناء النص القرآني، أي في بنيته العليا المعجزة، التي تستند إلى نظام معماري ذاتي خاصه به، فإن إمكانية إتيان أحد بمثله أو بجزء من مثله تكون ممتنعة لغياب قواعد نظم تلك البنية الخاصة بالقرآن.

فللقرآن خصائص أدبية تمنحه تفرد أدبي يستحيل معه قياسه بأجناس أدبية أخرى، ويستحيل تحديد عناصر بنائه في مستوى البنية العليا: فالقرآن يطرح جنسًا أدبيًا فريدًا "فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني... والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا"(الحكمي،1990).

وذكر الرماني"أن القرآن جاء بأسلوب جديد:"فالعادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة: منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن، تفوق كل طريقة"(الرماني،1934: 11)، وسار على هذا المنهج الباقلاني في حديثه عن نظم القرآن:"إنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم، ومباين لأساليب خطابهم، ومن ادعى ذلك: لم يكن له بدّ من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر، ولا من قبيل السجع، ولا الكلام الموزون غير المقفى... إلا أنه أفصح مما قد اعتادوه من أسجاعهم، ومنهم من يدعي أنه كلام موزون، فلا يخرج بذلك عما يتعارفونه من الخطاب"(الباقلاني،1997: 50)، فالقرآن نوع خاصٌ من التعبير لا هو بالشعر ولا بالنثر وإن ورد فيه ما يشابه ذلك في الوزن،"فمنه من بحر الطويل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ومن المديد واصنع الفلك بأعيننا، ومن البسيط فأصبحوا لا نرى إلا مساكنهم، ومن الوافر ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين، ومن الكامل والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومن الهزج فالقوة على وجه أبي يأت بصيراً، ومن الرجز ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا، ومن الرمل وجفان كالجوابي وقدور راسيات، ومن السريع أو كالذي مر على قرية، ومن المنشرح إنا خلقنا الإنسان من نطفة، ومن الخفيف لا يكادون يفقهون حديثًا، ومن المضارع يوم التناد يوم تولون مدبرين، ومن المقتضب في قلوبهم مرض، ومن المجتث نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، ومن المتقارب وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ"(السيوطي،1969: 3 / 297).

20-3.indd 78 8/30/2023 8:44:53 PM

لهذا لا يمكن أن يصنّف القرآن أدبيًا ضمن الأشكال الأدبية المعروفة، ولا يمكن أن نحكم على بنيته العليا بأنها تشبه ما في الشعر أو النثر، فنحن"أمام نص لا يسمى أو لا تسمح معايير الأنواع الأدبية بتسميته، إنه نص لا يأخذ معياره من خارج من قواعد ومبادئ محددة، وإنما معياره داخلي فيه"(أدونيس،1993: 28)، فهو ليس بالشعر ولا بالنثر هو كلام الله الذي تحكمه قواعد وأسرار خاصة.

الخاتمة

قدّمت هذه الدراسة إسهامات بعض علماء التفسير في باب علم المناسبة من منظور لسانيات النص، توصلت من خلالها إلى نتائج أهمها:

أن ما قدّمه علماء التفسير في باب علم المناسبة يعد مشروعًا لسانيًا نصّيًا ضمّ في ثناياه رؤية شاملة للنص القرآني، فقد استوعب علماء التفسير أجزاءه كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة، وقد تمكّن علماء القرآن من توظيف آليات التماسك والربط النصّي في ربطهم بين الآيات والسور في بحثهم عن وجوه التناسب في النص القرآني على مستوى البنية الصغرى والبنية الكبرى والبنية الكلية.

فمن خلال تتبع مظاهر الربط وأوجهها بين الآيات والسور في باب علم المناسبة، ندرك ذلك البعد النصّي في الرؤية التحليلية لدى علماء التفسير في تجاوزهم لحدود الجملة والنظر للنص القرآني نظرة شمولية كلية، فالنص في نظرهم يجب أن يكون وحدة واحدة، وقد ظهر ذلك في طرحهم لكثير من المقولات التي تتجاوز مستوى الجملة إلى مستوى النص، وقد عبّروا عن ذلك بعبارات منها: كالكلمة الواحدة، يأخذ بعضه بأعناق بعض، تعلق الكلام، إتمام الكلام السابق، الالتئام، الاتساق...

أن المنهجية الفنيّة النصّية لدى علماء المناسبة تلتقي في كثير مما انتهت إليه في ربطها بين الآيات والسور مع علم النص الحديث في مستويات مختلفة: كالمستوى التركيبي من خلال اهتمامهم بالضمير ومرجعه أو بحثهم في اختلاف عود الضمير على مفسّره، أو في حديثهم عن العطف بين الوحدات النصّية، كذلك تحدثوا في هذا المستوى عن الحذف ودور الدليل في تقدير المحذوف، وتحدثوا عن العطف أيضًا، أما في المستوى المعجمي فقد برزت جهودهم في توضيح التكرار وأسراره والمصاحبة المعجمية والاستبدال، وظهرت عنايتهم بالمستوى الدلالي من خلال مجموعة من آليات التماسك والربط النصّي أهمها: التوكيد، والخاص بعد العام... وذلك وفق بنيات ثلاث بنية صغرة مثلتها أوجه المناسبة بين الآيات المتجاورات في إطار السورة الواحدة، وبنية كبرى تجسدت في دراسة وتحليل السور القرآنية، فكل سورة تمثل بناء متكاملًا مترابطًا، ولم يتوقف البحث عن أوجه التناسب بين الآيات والسور عند حدود الآية الواحدة أو الآيات المتجاورة، ولكنه تجاوز ذلك إلى البحث

20-3.indd 79 8/30/2023 8:44:54 PM

فـي العلاقـات بيـن السـور فـي إطـار حديثهـم عـن الوحـدة العضويـة للقـرآن الكريـم، فكانـت النظـرة الشـمولية الكليـة التـي جعلـت مـن النـص القرآنـي نصًـا متكامـلًا مترابطًـا متدرجًـا فـي بنيتـه النصيـة والممثلـة فـي تسلسـلها الإطـار العـام (البنيـة العليـا) لموضوعـي التوحيـد والعبـادة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية:

القرآن الكريم.

آدمتسيك، ك (2009). لسانيات النص عرض تأسيسي (ترجمة سعيد بحيري). مكتبة زهراء الشرق.

أدونيس، ع (1993). النص القرآني وآفاق الكتابة. دار الآداب.

الأزهر، ز (1993). نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا. المركز الثقافي العربي.

الألوسي الكبير، ش (1991). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المطبعة المنيرية.

الأنصاري،ع (2004). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. دار السلام للنشر.

الباقلاني، م (1997). إعجاز القرآن. دار المعارف.

بحيري، س (1995). علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات. الشركة المصرية العالمية للنشر.

البقاعي، ب (1990). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتب العلمية.

البستاني، م (2001). المنهج البنائي في التفسير. دار الهادي.

الحكمي، ح (1990). معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (تحقيق عمر محمود أبو عمر). دار ابن القيم.

الخالدي، ص (2008). إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني. دار عمار.

أبو خرمه، عمر محمد (2004). نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى. عالم الكتب الحديث، إربد.

ابن الخشّاب، ع (1972). المرتجل في شرح الجمل (تحقيق علي حيدر، نسخة إلكترونية). المكتبة الوقفية.

خطابي، م (1991). لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. المركز لثقافي العربي.

خليل، إ (2009). في اللسانيات ونحو النص (ط2). دار المسيرة.

دايك، ف (1996). النص بناته ووظائفه"مدخل أولي إلى علم النص (ترجمة محمد العمري). إفريقيا الشرق.

دايك، ف (1997). النص ووظائفه (ترجمة محمد العمري، ع38). كتاب الرياض في نظرية الأدب، مقالات ودراسات.

دايك، ف (2000). النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي (ترجمة عبد القادر قنيني). إفريقيا الشرق.

دايك، ف (2001). علم النص مدخل متداخل الاختصاصات (ترجمة سعيد حسن البحيري). دار القاهرة للكتاب.

دايك، ف (2004). النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص (ترجمة منذر عياشي، في مجموعة بعنوان العلاماتية وعلم النص). المركز الثقافي العربي.

20-3.indd 80 8/30/2023 8:44:54 PM

الدجني، ف (1987). الجملة النحوية نشأة وتطورًا وإعرابًا (ط2). مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

دراز، ص (1986). في البلاغة القرآنية. مطبعة الأمانة.

دي بوجراند، ر (1998). النص والخطاب والإجراء (ترجمة تمام حسان، نسخة إلكترونية). عالم الكتب.

الرازي، ف (1984). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3). مكتبة دار التراث.

الرماني، ع (1934). النكت في إعجاز القرآن (تصحيح عبد العليم). مكتبة الجامعة الملية الإسلامية.

الزرقاني، م (1980). مناهل العرفان في علوم القرآن. مطبعة عيسى البابي الحلبي.

الزركشي، ب (1984). البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3). مكتبة دار التراث.

أبو زيد، ن (1990). مفهوم النص دراسات في علوم القرآن. المركز الثقافي العربي.

السامرائي، ف (2000). بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. دار الشؤون الثقافية العامة.

سعد، م (1424). العرف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة (نسخة إلكترونية).

سيبويه، ع (2004). الكتاب (تحقيق عبد السلام هارون). مكتبة الخانجي.

السيوطي، ج (1969). معترك الأقران في إعجاز القرآن. دار الفكر العربي.

السيوطي، ج (1976). أسرار ترتيب القرآن. دار الاعتصام.

السيوطي، ج (1980). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (تحقيق عبد العال سالم مكرم). دار البحوث العلمية.

السيوطي، ج (1983). تناسق الدرر في تناسب السور. عالم التراث.

السيوطي، ج (2008). الإتقان في علوم القرآن (تحقيق شعيب الأرنؤوط). مؤسسة الرسالة ناشرون.

الشاوش، م (2001). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص. المؤسسة العربية للتوزيع.

شبلنر، ب (1991). علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي (ترجمة محمود جاد الرب). الدار الفنية.

ابن عاشور، م (1984). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.

العلواني، ط (2006). الوحدة البنائية للقرآن المجيد، سلسلة دراسات قرآنية. مكتبة الشروق الدولية.

الصبيحي، م (2008). مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه. الدار العربية للعلوم ناشرون.

الطبري، م (1999). تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تفسير القرآن (ط3). دار الكتب العلمية.

الطلحي، ر (1424). دلالة السياق. معهد البحوث العلمية.

فضل، ص (1992). بلاغة الخطاب وعلم النص. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الفقي، ص (2000). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية. دار قباء.

القاضي، ح (2010). التذييل والتكميل في شرح التسهيل. دار البازوري.

قانصوه، و (2011). النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقي. دار الفرابي.

20-3.indd 81 8/30/2023 8:44:54 PM

قباوة، ف (1981). إعراب الجمل وأشباه الجمل. دار الآفاق الجديدة.

القيام، ع (2011). أدبية النص القرآني. نقلًا عن: الأعمال الكاملة، طه حسين.

ابن كثير، ف (2000). تفسير القرآن العظيم. دار ابن حزم.

الكرماني، ب (1986). البرهان في توجيه متشابه القرآن (تحقيق عبد القادر أحمد عطا). دار الكتب العلمية.

مرتاض، ع (1990). نظرية، نص، أدب: ثلاث مفاهيم نقدية. بحث ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي. النادي الأدبي الثقافي.

الميداني، ع (1996). البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طيف وتليد. دار القلم.

الواحدي، ع (1995). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تحقيق صفوان عدنان داوودي). دار القلم.

ابن يعيش، م (1998). شرح المفصل. دار صادر.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Dijk, V. (1980). Discouese studies and education. *Australian Review of Applied Linguistics*, *3*(1). https://doi.org/10.1075/aral.3.1.01van

Dijk, V., & Kintsch, W. (1987). *Toward a Model of Text Comprehension and Production*.

Halliday, M. A. K., & Hassan, R. (1976). *Cohesion English*. Longman.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanized Arabic References:

alqur{nu alkarīmu

ādmtsyk k 2009). lisānīāti al-naṣṣi ‘arḍa ta’asīsī tarjamata sa’īda buḥayray maktabata zahrā’a al-sharqi

adwnys ‘ 1993). al-naṣṣa alqur{niyya wa{fāqa alkitābati dāru al{dābi

al’a’azharu z 1993). nasīja al-naṣṣi baḥthun fīmā yakwunna bihi almalfūẓu naṣṣan almarkazu al-thaqāfiyyu al‘arabiyyu

al-’ālwsy alkabīra sh 1991). rawwaḥa alma‘ānī fī tafsīri alqur{ni al‘aẓīmi wa-l-sab‘u almathāniyyu almiṭba‘atu almunīriyyatu

al’a’anṣāriyyu ‘ 2004). mughnī al-labībi ‘an kutubi al’a‘ārybi dāru al-salāami lil-nashra

albāqillāniyyi m 1997). i‘jāza alqur{ni dāru alma‘ārifi

buḥayriyyun s 1995). ‘ilma lughati al-naṣṣi almafāhīma wa-l-ittijāhāti al-sharikatu almiṣriyyatu al‘ālamiyyatu lil-nashra

albiqā‘iyyu b 1990). naẓẓama al-duraru fī tanāsubi al{yāti wa-l-swri dāru alkutubi al‘ilmiyyati

albustāniyyu m 2001). alminhaja albinā’iyya fī al-tafsīri dāru alhādī

20-3.indd 82 8/30/2023 8:44:55 PM

alḥukmiyyu ḥ 1990). ma'ārija alqabūli bisharḥi sullami alwuṣūli ilā 'ilmi al'uṣwli taḥqīqa 'umuri maḥmūdi a'abū 'umari dāra ibnu alqayyimi

alkhālidiyyu ṣ 2008). i'jāza alqur{ni albayāniyyi wadalā'ili maṣdarihi al-rabbāniyyi dāru 'amārin

a'abū kharamahu 'ammara muḥammadu 2004). naḥwa al-naṣṣi naqud naẓariyyatan wabinā'a ukhrā 'ālamu alkutubi alḥadytha 'irbd

ibna alkhasshābi ' 1972). almurtajala fī sharḥi aljumali taḥqīqa 'aliyya ḥaydarin nuskhata 'ilikturwniyyata almaktabati alwaqfiyyati

khiṭābiyyun m 1991). lisānīāti al-naṣṣi madkhalun ilā insijāmi alkhiṭābi almarkazu lithaqāfiyya al'arabiyyi

khalīlun i 2009). fī al-lisāniyyāti wanaḥwi al-naṣṣi ṭ dāra almasīrati

diyyuka f 1996). al-naṣṣa bunnātihi wawaẓā'ifihi " madkhalun a'awalī ilā 'ilmi al-naṣṣi tarjamata muḥammada al'umariyyi 'ifrīqyā al-sharqi

diyyuka f 1997). al-naṣṣa wawaẓā'ifahu tarjamata muḥammada al'umariyyi ' kitāba al-rīāḍi fī naẓariyyatu al'adabi maqālātin wadirāsātin

diyyuka f 2000). al-naṣṣa wa-l-sīāqa istiqṣā'a albaḥthi fī alkhiṭābi al-dalāliyyi wa-l-tadāwuliyyi tarjamata 'abdi alqādiri qinnīniyya 'ifrīqyā al-sharqi

diyyuka f 2001). 'ilma al-naṣṣi madkhala mutadākhila alikhtiṣāṣāti tarjamata sa'īda ḥusni albuḥayriyyi dāra alqāhirati lil-kitāba

diyyuka f 2004). al-naṣṣa bunan wawaẓā'ifu madkhalin a'awalī ilā 'ilmi al-naṣṣi tarjamata mundhira 'ayyāshī fī majmū'atin bi'unwāni al-'lāmātya wa'ilma al-naṣṣi almarkaza al-thaqāfiyya al'arabiyya

al-dujniyyu f 1987). aljumlati al-naḥwiyyati nash'a'atan watataẓawwuran wa'i'rāban ṭ maktabata alfalāaḥi lil-nashra wa-l-tawzī'a

drāz ṣ 1986). fī albalāghati alqur{niyyati miṭba'atu al'amānati

dī bwjrānd r 1998). al-naṣṣa wa-l-khiṭāba wa-l-'ijrā'a tarjamata tamāmi ḥissāni nuskhata 'ilikturwniyyata 'ālama alkutubi

al-rāziyyu f 1984). al-tafsīra alkabīra a'aw mafātīḥu alghaybi taḥqīqa muḥammada a'abū alfaḍli 'ibrāhym ṭ maktabata dāri al-turāthi

al-rummāniyyu ' 1934). al-nukata fī i'jāzi alqur{ni taṣḥīḥa 'abdi al'alīmi maktabata aljāmi'ati almaliyyati al'islāmiyyati

al-zarqāniyyu m 1980). manāhila al'irfāni fī 'ulūmi alqur{ni miṭba'atu 'īsā albābiyyi alḥalbiyyi

al-zarkashiyyu b 1984). alburhāna fī 'ulūmi alqur{ni taḥqīqa muḥammada a'abū alfaḍli 'ibrāhym

20-3.indd 83 8/30/2023 8:44:55 PM

ṭ maktabata dāri al-turāthi

a'abū zaydin n 1990). mafhūma al-naṣṣi dirāsātin fī 'ulūmi alqur{ni almarkazu al-thaqāfiyyu al'arabiyyu

al-sāmarrā'iyyu f 2000). balāghata alkalimati fī al-ta'bīri alqur{niyyi dāru al-shu'ūni al-thaqāfiyyati al'āmmati

sa'dun m 1424). al'azfa 'alā a'anwāri al-dhikri ma'ālima al-ṭarīqi ilā fiqhi almu'annā alqur{niyyi fī sīāqi al-sūrati nuskhata 'ilikturwniyyata

sībū'iyyuhu ' 2004). alkitāba taḥqīqa 'abdi al-sullāmi hārūna maktabata al-khānjy

al-suyūṭiyyu j 1969). mu'taraka al'a'aqrāni fī i'jāzi alqur{ni dāru alfikri al'arabiyyi

al-suyūṭiyyu j 1976). a'asarāra tartībi alqur{ni dāru ali'tiṣāmi

al-suyūṭiyyu j 1980). hami'a alhawāmi'i fī sharḥi jam'i aljawāmi'i taḥqīqa 'abdi al'āli sālima mkrm dāra albuḥwthi al'ilmiyyati

al-suyūṭiyyu j 1983). tanāsuqa al-durari fī tanāsubi al-swri 'ālamu al-turāthi

al-suyūṭiyyu j 2008). al'itqāna fī 'ulūmi alqur{ni taḥqīqa shu'aybi al-'ārn'ūṭ mu'uassasata al-risālati nāshirūna

al-shāwushu m 2001). uṣwla taḥlīli alkhiṭābi fī al-naẓariyyati al-naḥwiyyati al'arabiyyati ta'asīsu naḥwi al-naṣṣi almu'uassasatu al'arabiyyatu lil-tawzī'a

shblnr b 1991). 'ilma al-lughati wa-l-dirāsāti al'adabiyyati dirāsatu al'uslwbi albalāghata 'ilma al-lughati al-naṣṣiyyi tarjamata maḥmūda jādda al-rabbi al-dāra alfanniyyata

ibna 'āshūrin m 1984). al-taḥrīra wa-l-tanwīra al-dāru al-twnisiyyatu lil-nashra

al'ilwāniyyu ṭ 2006). alwaḥdata albinā'iyyata lil-qur{na almajīda silslata dirāsātin qur{niyyatin maktabatu al-shurūqi al-dawliyyati

al-ṣabīḥiyyu m 2008). madkhalun ilā 'ilmi al-naṣṣi wamajālāti taṭbīqihi al-dāru al'arabiyyatu lil-'ulūma nāshirūna

al-ṭabariyyu m 1999). tafsīra al-ṭabariyyi almusammā jāmi'a albayāni fī tafsīri alqur{ni ṭ dāra alkutubi al'ilmiyyati

al-ṭalḥiyyu r 1424). dalālata al-sīāqi ma'hadu albuḥwthi al'ilmiyyati

faḍḍala ṣ 1992). balāghata alkhiṭābi wa'ilmi al-naṣṣi almajlisu alwaṭaniyyu lil-thaqāfata wa-l-funūna wa-l-{dāba

ilfiqī ṣ 2000). 'ilma al-lughati al-naṣṣiyyi bayna al-naẓariyyati wa-l-taṭbīqi dirāsatu taṭbīqiyyatu 'alā al-swri almakkiyyati dāru qabā'in

alqāḍī ḥ 2010). al-tadhyyla wa-l-takmyla fī sharḥi al-tashīli dāru al-bāzwry

20-3.indd 84 8/30/2023 8:44:55 PM

qānṣūhun wa 2011). al-naṣṣa al-dīniyya fī al'islāmi mina al-tafsīri ilā al-talaqqī dāru al-frāby

qbāwa f 1981). i'rāba aljamali wa'a'ashbāhi aljamali dāru al{fāqi aljadīdati

alqīāmu ' 2011). a'adubbiyyata al-naṣṣi alqur{niyyi naqlan 'an al'a'a'mālu alkāmilatu ṭh ḥusīna

ibna kathīrin f 2000). tafsīra alqur{ni al'aẓīmi dāra ibnu ḥazmin

alkurmāniyyu b 1986). alburhāna fī tawjīhi mutashābihi alqur{ni taḥqīqa 'abdi alqādiri a'aḥamida 'aṭā dāra alkutubi al'ilmiyyati

murtāḍun ' 1990). naẓariyyatan naṣṣun a'adubbun thalāth mafāhīma naqadiyyata baḥatha ḍimna kitābi qirā'ti jadydatin liturāthanā al-naqdiyya al-nādī al'adabiyyu al-thaqāfiyyu

almaydāniyyu ' 1996). albalāghata al'arabiyyata a'assasahā wa'ulūmahā wafunūnahā waṣūra min taṭbīqātihā bihaykali jadydin min ṭayfin watalydin dāru alqalami

alwāḥidiyyu ' 1995). alwajīza fī tafsīri alkitābi al'azīzi taḥqīqa ṣafwāna 'adnāni dāwwdy dāra alqalami

ibna yu'ayyishu m 1998). sharḥa almufaṣṣali dāru ṣādiru

20-3.indd 85 8/30/2023 8:44:55 PM

Textual Structures according to "Van Dijk" and the Exegetes: A Descriptive Approach

Ahmad Fahid Shahin[1]

Abstract:

This research deals with the contributions of some exegetes to the science of occasion from a linguistic perspective. It came up with some results, the most important of which is that the science of occasion is textually and linguistically legitimate, and that it included within its multiple folds a comprehensive view of the Quranic text. The Scholars of Interpretation had assimilated its content word by word, verse by verse and surah by Surah. They were also able to employ cohesive devices and connectives to link verses and surahs at the levels of the minor, major, and higher structures. Their attempts constituted a textual approach that revealed their awareness of the issue of textual coherence of the Noble Quran. The text, in their view, must be one unit, and this was evident in their presentation of several statements that go beyond the level of the sentence to the level of the text. They expressed this in such terms as: Like one word, neck-to-neck, connected discourse, etc.

Keywords: Text and textuality, the higher structure, the minor structure, the major structure, the science of occasion.

(1) Teacher Training Institute - Emirates Schools Establishment (AbuDhabi – U.A.E.)
ahmad-f.shahin@ese.gov.ae

20-3.indd 86 8/30/2023 8:44:55 PM